تاسع صفر فلما كان في سلطنة الاشرف موسي بن الملك مسعود اقسيس بن الملك
الكامل والملك المعز عز الدين ايبك التركماني وكثر الاختلاف بمصر واستولي الملك يوسف
ابن عبد العزيز علي دمشق اتفق ارباب الدولة بمصر وهم المماليك البحرية علي تخريب
مدينة دمياط خوفا من مسير الفرنج اليها مرة اخري فسيروا اليها الحجارين والفعلة
فوقع الهدم في اسوارها يوم الاثنين الثامن عشر من شعبان سنة ثمان واربعين
وستماية حتي خربت كلها ومحيت اثارها ولم يبق منها سوي الجامع وصار في قبلتها
اخصاص علي النيل سكنها الناس الضعفا وسموها المنشية وهذا السور هو الذي
بناه امير المومنين المتوكل علي الله كما تقدم ذكره • فلما استبد الملك الظاهر بيبرس
البند قداري الصالحي بمملكة مصر بعد قتل الملك المظفر قطز اخرج من مصر عدة حجارين
في سنة تسع وخمسين وستماية لردم بحر دمياط فمضوا وقطعوا كثيرا من القرابيص
والقوها في بحر النيل الذي يصب من شمال دمياط في بحر الملح حتي ضاق وتعذر دخول
المراكب الي دمياط وهو الي اليوم علي ذلك لا تقدر مراكب البحر الكبار ان تدخل منه
وانما ينقل ما فيها من البضايع في مراكب نيلية تعرف عند اهل دمياط بالجروم
واحدها جرم وتصير مراكب بحر الملح واقفة باخر البحر قريبا من ملتقي البحرين
ويزعم اهل دمياط الان ان سبب امتناع دخول المراكب الي البحر جبل في فم البحر
او رمل تربي هناك وهذا قول باطل حملهم عليه ما يجد ونه من تلاف المراكب اذا
هجمت علي هذا المكان وجهلهم باحوالهم وما مر من الوقايع والي يومنا هذا يخاف
علي المراكب عند ورودها في فم هذا البحر وكثيرا ما يتلف فيه وقد سرت اليه
حتي شاهدته ورايته من اعجب ما يراه الانسان **واما** دمياط فانها حدثت
بعد تخريب مدينة دمياط وعمل هناك اخصاص وما برحت تزداد الي ان صارت
بلدة كبيرة ذات اسواق وحمامات وجوامع ومساجد ودورها تشرف علي النيل
الاعظم ومن وراها البساتين وهي احسن بلاد الله منظرا وقد اخبرني الامير
الوزير المشير الاستادار يلبغا السالمي رحمه الله انه لم ير في البلاد التي سلكها
من سمرقند الي مصر احسن من دمياط فاذا هي احسن وانزه وفيها اقول
سقي عهد دمياط وحياه من عهد • فقد زادني ذكراه وجدا علي وجد

ولازالت

ولازالت الانوا تستقي سحابها • ديارا حكت من حسنها جنة الخلد
فيا حسنها تيك الديار وطيبها • فكم قد حوت حسنا يجل عن العد
وبشنينها الريان يحكي متيما • تبدل من وصل الاحبة بالصد
تقام علي رجليه في الدمع غارقا • يراعي نجوم الليل من وحشة الفقد
وظل علي الاقدام يحسب انه • لطول انتظار من حبيب علي وعد
ولاسيما تلك النواعير انها • تجدد حزن الوالد الدنف الفرد
اطارحها شجوي وصارت كانما • تطارح شكواها بمثل الذي ابدي
تقد خلتها الافلاك فيها نجومها • تدور بمحض النفع منها وبالسعد
وفي البرك الغرا باحسن نوفر • حكي وعدي بالزهو يسطو علي الورد
سما من البلور فيها كواكب • عجيبة صنع اللون محكمة النضد
وفي شاطي النيل المقدس نزهة • تعيد شباب الشيب في العيشة الرغد
وتنشي رياها تطرد الهم والاسي • وتنسي ليالي الوصل من طيبها عندي
وفي موج البحرين حسن عجايب • تلوح وتبدو من قريب ومن بعد
كان التقا النيل بالبحر اذ غدا • مليكين صارا في الجدال من جند
وقد نزلا للحرب واحتدم اللقا • ولا طعن الا بالمثقفة الملد
فطلا كما باتا وما برحا دهرا • كذا من جليل الخطب في اعظم الجهد
فكم قد مضي لي من افانين لذة • بشاطيها العذب الشهي لذي الورد
وكم قد نعمنا في البساتين نزهة • بعيش هني في امان وفي سعد
وفي البرزخ المانوس كم لي خلوة • وعند شطا عن ايمن العلم الفرد
هناك تري عين البصيرة ما تري • من الفضل والافضال والخير والمجد
فيارب هب لي بفضلك عودة • ومن بها في غير بلوي ولا جهد
[...]مياط حيث كانت المدينة التي هدمت جامع من اجل مساجد المسلمين تسميه
[...]امة مسجد فتح وهو المسجد الذي اسسه المسلمون عند فتح دمياط اول ما فتح
[...]رض مصر علي يد عمرو بن العاص وعلي بابه مكتوب بالقلم الكوفي انه عمر بعد
[...]خمسماية من الهجرة وفيه عدة من العمد الرخام منها ما يعز وجود مثله

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)